



توفر له الحماية والدعم حيثما ذهب [نفسه، ص١٢٩]. وتقتبس الدراسة المذكورة عن ابولوى الأتي: «وجدت من جانب أهالي المناطق الداخلية الكثير من الترحاب، والأمانة، وأحيانا الصداقة، وفي اعتقادي أن طبيبتهم ترجع إلى حكم الشيوخ الهادئ» [نفسه، ص١٢٩]. وينقل د. الحجري في (غواية المجهول) ما وصف به الأميرال الصيني المسلم يانغ هي (ق١٥م) سكان هرمز بأنهم أتيقيا ومؤمنون صادقون، يحافظون على صلاتهم وصيامهم، عاداتهم ومسالكتهم نقية وصادقة، ولا يوجد بينهم فقراء؛ نتيجة تكافل الأسر بينهم [غواية المجهول، ص٢٢٧]، وحول التسامح الديني ينوه إلى اعتقاد جورج كيبيل السياسي العسكري البريطاني (زار سنة ١٨٢٤م) بأن عندهم تقديرا عظيما للعدالة وتسامحا كليا للأديان الأخرى [نفسه، ص٢٤١]، ويؤكد هذا المعنى بلغريضا؛ حيث يشير إلى ما كان يديه العمانيون تجاه أصحاب العقائد الدينية الأخرى؛ فهم -كما ورد- وإن كانوا يدينون بالدين الإسلامي وفق المذهب الإباضي إلا أنهم غير مترمطين مع غيرهم، كما أنهم يحسنون معاملة أصحاب الديانات الأخرى [عمان في كتابات الرحالة الأوروبيين، ص١٣٠]، ومثل ذلك ما نقل عن هيود بأنهم في غاية التسامح والبساطة في تعاملهم وتصرفهم، وهم لا يرون اختلافات بينهم وبين أصحاب الديانات الأخرى [نفسه، ص١٣٠]. ويؤكد جيمس سيلك بكنجهام (ديسمبر ١٨١٦م) بأن الأقليات تعامل بالكثير من الرفق والسماحة، وأن من الخصائص

قد خلقت من العماني شخصية متفردة في انفتاحها فإن ذلك يفسر أهم ملح من ملامحها، وهو التسامح، الذي سهل لأهلها بسهولة وانسيابية دخول الإسلام، وتحولهم تلقائيا من الوثنية إلى الإسلام؛ باعتباره الأقرب إلى طبيعتها وفطرتها السهلة التي فطر الله الناس عليها» [نفسه، ص١٩]. وقد تظنن إلى هذا المؤثر (المكان) غير واحد من الكتاب والباحثين، العمانيين وغيرهم؛ فكانوا كثيرا ما يقدمون -خصوصا الأجانب منهم- وصفا للمواقع والقرى التي يزورونها؛ ثم يتبعون ذلك وصف السكان وأخلاقهم وطبائعهم. قديما نبه ابن خلدون إلى تلك العلاقة التي تربط الإنسان بالمكان، وتأثره به وبالبيئة والظروف المحيطة بكيونته الإنسانية، وضرب على ذلك أمثلة واضحة.

### ٣- شهادات غربية :

عند استعراض أهم ما كتبه الرحالة الأوروبيون عن العماني نجد أنه: عزيز النفس، ذو روح عالية، وأن العمانيين كرماء شجعان؛ بحسب ما أورده ولستد من وصف، ساقته بعض الدراسات الحديثة، والذي كانت تربطه بالأهالي علاقة طيبة جدا [عمان في كتابات الرحالة الأوروبيين، الخنصوري، ص١٢٠]. وقد أشاد هيود بمدى تحضر العمانيين، واحترامهم للزوار والضيوف، ولاحظ الرحالة الأوروبيون هذا الشيء بأنفسهم؛ فالرجل الإنجليزي -مثلا، وبحسب تلك الدراسة- موضع تقدير واحترام من قبل العمانيين، كما

## ■ هذه الشخصية لم تحظ بدراسة علمية جادة، تميز خصائصها الإيجابية والسلبية

## ■ أشاد هيود بمدى تحضر العمانيين، واحترامهم للزوار والضيوف،

### ٢. عبقرية الموقع وتأثيراته :

المكان يترك أثره على المكين -كما يقال-؛ إذ الجغرافيا الطبيعية مصنع للأحداث والتاريخ؛ وفي ذلك يقرر محمد صابر عرب بأن تفاعل الإنسان العماني مع الجغرافيا قد وضع عمان على الطريق الذي سلكته عبر آلاف السنين؛ فكانت قوى التاريخ وتياراته الحضارية تشد عمان تارة نحو آسيا، وتارة نحو أفريقية، وفي أحيان أخرى نحو أوروبا، وفي خضم كل هذه الدروب تشكلت هويتها الوطنية؛ حيث أخذت من العرب دماءهم وعقيدتهم، وأخذت من آسيا شيئا من حضارتها، وأخذت من إفريقية بقدر، إلا أنها أثرت في الجميع أكثر مما أخذت [الدولة في الفكر الإباضي، ص١٨-١٩]. ثم يواصل كلامه: «أعتقد أن كل هذا الأخذ والعطاء قد أثر بشكل أو بآخر على الشخصية العمانية»، ويخلص إلى أن هذه الشخصية لم تحظ بدراسة علمية جادة، تميز خصائصها الإيجابية والسلبية، إلا أن العمانيين لم يعرفوا كراهية الأجانب قط؛ بحكم توسط بلادهم بين شعوب وثقافات مختلفة، ولم يعرفوا المنصرية أو التعصب، ولم يرفضوا الاختلاط بغيرهم [نفسه، ص١٩]. ويؤكد على أن العماني في الوقت الحاضر لا يعرف عقدة النقص تجاه الأوروبي، ولا يعرف مركب الاستعلاء تجاه الأفريقي أو الآسيوي، وإنما يتعامل بتلقائية وانفتاح مع كل الأجناس والثقافات [نفسه، ص١٩].

ثم ينهي حديثه بالقول: «إذا كانت الجغرافيا



د. محمد بن سالم الحارثي

# الشخصية العمانية .. الخصائص والسمات

عرف عن العمانيين -قديما وحديثا- دماثة الأخلاق، وحلاوة المنطق، وطيب المعشر، وحسن التعامل، وجميل الصحبة، والتواضع الجَم، ولين الجانب، والعفة والعفو والتعاطف والسماحة، إلى جانب: التدين الصادق، والطبيعة المسالمة، التي تنأى عن افتعال المشاكل، وتتحاشى موجبات التقابل والصدام، أو اجتراح ما يبعث عليهما، ونتيجة لذلك ساد الأمن والاستقرار بالبلاد، وعمت الألفة والسكينة والطمأنينة، وشاع الود والاحترام المتبادل لدى الجميع. ولقد شهد للعمانيين بذلك كل من زارهم، أو قدر له التعامل معهم؛ ماضيا وحاضرا. في مقالنا هذا سنحاول الاقتراب أكثر من وصف السلوك العماني -كما يبدو للرائد-، وسنتعرف على خلفية ذلك المسلك المحمود الذي يطبع توجُّههم بالحياة، ويحكم تعاملهم مع الآخرين، وسننظر إلى الموضوع من زوايا مختلفة، كما سنقرن ما توافر لدينا من وقائع وشهادات حفظها لنا التاريخ؛ وجب الإنصاف أن نذكرها، وإلا كنا -والعياذ بالله- في عداد الجاحدين، تؤكد ما عُرف به أهل عمان من خلق رفيع، وأدب سام، وتدين صادق.

وبدراسة الشخصية العمانية يُحوجنا كذلك إلى الحديث عن تلك الخصائص والصفات التي تطبع بها ثقافتنا الإسلامية الشخصية العمانية في كافة المجالات، والتي تميزها عن سائر الأفراد والجماعات الأخرى. هذه الصفات تقوم على قاعدة صلبة من الإيمان بالله؛ فالعقيدة الإسلامية على هذا أساس منهجي راسخ تُبنى عليه الشخصية العمانية المسلمة كغيرها من الشخصيات التي تدين بهذا الدين العظيم [بتصرف: الثقافة الإسلامية، طه عزمي السيد، ص١٤٨]. إن قرب الإنسان من ربه ينعكس واقعا على سلوكه وتعاملاته، وإن محافظته على ممارساته التعبدية التي تعكس حقيقة تعلقه بالعبودية لله، يكسبه مزاي وأخلاقا خاصة، تمثل في نهاية الشكل الشخصاني نمطا ثقافيا وأخلاقيا فريدا من نوعه [الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، ص١٦٥].

الشخصية العمانية المسلمة يُحوجنا كذلك إلى الحديث عن تلك الخصائص والصفات التي تطبع بها ثقافتنا الإسلامية الشخصية العمانية في كافة المجالات، والتي تميزها عن سائر الأفراد والجماعات الأخرى. هذه الصفات تقوم على قاعدة صلبة من الإيمان بالله؛ فالعقيدة الإسلامية على هذا أساس منهجي راسخ تُبنى عليه الشخصية العمانية المسلمة كغيرها من الشخصيات التي تدين بهذا الدين العظيم [بتصرف: الثقافة الإسلامية، طه عزمي السيد، ص١٤٨]. إن قرب الإنسان من ربه ينعكس واقعا على سلوكه وتعاملاته، وإن محافظته على ممارساته التعبدية التي تعكس حقيقة تعلقه بالعبودية لله، يكسبه مزاي وأخلاقا خاصة، تمثل في نهاية الشكل الشخصاني نمطا ثقافيا وأخلاقيا فريدا من نوعه [الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، ص١٦٥].

### ١. الشخصية العمانية والبناء الثقافي:

يُعرف علماء النفس الشخصية بأنها: مجموع الخصائص والصفات والسمات العقلية والبدنية والعاطفية، والميول والرغبات، والمواهب والقدرات، والقيم الأخلاقية والإمكانات، التي تميز فردا من الأفراد، وتحدد طبيعة تفاعله مع نفسه ومع الآخرين، وتكيفه في بيئته الاجتماعية، وتعامله مع الناس؛ فالشخصية بالمفهوم العام: الشخص الذي تظهر صورته سلوكا على مرآة الحياة [الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، ص١٥٢]. لا ريب عندي أن سؤال الذات (من أكون؟ وكيف يراني الآخرون؟ وما الذي أريده أو أطمح إليه؟) يعيننا كثيرا في التعرف على هذه الشخصية، وتحليلها بنحو دقيق، وتفهم ماهيتها والطبيعة التي تحكم تعاملها مع الغير. الحديث عن

العظيمة لمسقط عن كل البلاد العربية الأخرى، هو الاحترام واللفظ الذي يبديه سكانها - بكل مراتبهم - إلى الأوروبيين [غواية المجهول، ص ٢٣٦]، وقبله وصفهم جون أوفينجتون (سنة ١٦٩٣ م) بأنهم مهذبون جدا في تصرفهم، وفي غاية اللطف إلى كل الغرباء؛ فلا أذى ولا إهانة يمكن أن تصدر منهم لأي أحد [نفسه، ص ٢٣٠]، وفي سنة ١٧١٥ م - كما يقول الحجري أنف الذكر -: «توقف الرحالة الإنجليزي ألكسندر هاملتن أثناء رحلته بين البحر الأحمر والصين في مسقط، ووجد أهلها متميزين بتواضعهم ودمائهم، وقد لاحظ في سلوكهم هذا التواضع؛ ذلك بأنه - على خلاف ما يعرفه في أوروبا - لا يمارسون تفرقة عنصرية بين ضيوف المائدة؛ يجلس السيد والعبد دون تمييز، ويأكلان في الصحن نفسه» [نفسه، ص ٢٣١].

أذكر جيدا حين كلفت بمراجعة كتاب (زنجبار .. تاريخها وشعبها) لوليام هارولد إنغرامز - القنصل السامي البريطاني في عهد السيد خليفة بن حارب، والتعليق عليه؛ وجدت الباحث منصفا في موارد عديدة؛ حيث وصف أخلاق العمانيين وطباعهم، وتدبيرهم الشديد؛ إلى درجة أنه نقل في باب الحقوق أقدارا كبيرة جدا من كتاب نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، الموسوم بـ (تلقين الصبيان)؛ تأكيدا منه لما كان يتمتع به العمانيون من دين وخلق وحسن معاملة. كما فند كثيرا من الشبه التي كانت تلصق بهم، وهو كتاب جدير فعلا بالاعتناء.

وقد دأبنا جاهدين وفريق العمل القائم على إعداد كتاب (الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة) على أفراد فصل كامل حول: الثقافة الإسلامية والمجتمع العماني، وأشرنا إلى جانب من تلك الصفات والخصائص والسمات التي تطبع العمانيين على وجه الخصوص، وتميز ثقافتهم من بين سائر الثقافات، والتي من بينها -بطبيعة الحال-: الاستقلالية والاستقامة الدينية والتسامح والتكافل والتعاطف مع الآخرين. ونقلنا ما وصف به رئيس البعثة الهولندية روبرت بادبرج العمانيين، والذي زار عمان في عهد الدولة اليعربية مبعوثا من قبل ممثلة بلده سنة ١٦٧٢م؛ بأنهم ذوو أخلاق وصفات مصقولة؛ يقول: «يتصف عرب عمان بالتهذيب والود والكرم والنخوة في تعاملهم مع بعضهم البعض، ومع الغرباء -أيضا-. وتصرفاتهم في غاية النزاهة إلى درجة مبالغ

## ■ وصفهم جون أوفينجتون (سنة ١٦٩٣ م) بأنهم مهذبون جدا في تصرفهم، وفي غاية اللطف إلى كل الغرباء

## ■ العمانيون انفتحوا كذلك على الآخر -عبر التاريخ- من خلال المشاركة بال دعوة السلمية

## ■ العمانيون انفتحوا كذلك على الآخر -عبر التاريخ- من خلال المشاركة بال دعوة السلمية

## ■ العمانيون انفتحوا كذلك على الآخر -عبر التاريخ- من خلال المشاركة بال دعوة السلمية

## ■ العمانيون انفتحوا كذلك على الآخر -عبر التاريخ- من خلال المشاركة بال دعوة السلمية

## ■ العمانيون انفتحوا كذلك على الآخر -عبر التاريخ- من خلال المشاركة بال دعوة السلمية

## ■ العمانيون انفتحوا كذلك على الآخر -عبر التاريخ- من خلال المشاركة بال دعوة السلمية

فيها، ولا يؤخذ أي قرار مباشرة قبل عرضه على الجميع» [الثقافة العمانية، ص ٢٩٢]. بالجملة فإن من أهم الأعمال التي وثقت تلك الشهادات وغيرها مؤخرها في الداخل العماني: (غواية المجهول .. عمان في الأدب الإنجليزي) للدكتور هلال الحجري، و: (عمان في كتابات الرحالة الأوروبيين في القرن ١٩م) لأمل بنت سيف الخنصوري، إلى جانب عدد آخر من البحوث والكتابات الجادة؛ بالإضافة إلى ما أشرت إليه. كما صدر في باريس باللغتين الفرنسية والإنجليزية عمل آخر مهم، عنوانه: (عمان: خمسة وعشرون قرنا في كتابات الرحالة)، للباحث الفرنسي كزافي بيغان بيلكوك. وقد أسهمت (موسوعة عمان.. الوثائق السرية) للشيخ محمد بن عبدالله الحارثي -هي الأخرى- في ترجمة جانب من التقارير البريطانية التي تعكس وجهها ثريا من وجهة رؤيوية الآخر للعماني؛ في مناحي مختلفة. هذه الأعمال تعين الدارس على فهم طبيعة وخصائص هذه الشخصية، وتيسر -بالتالي- دراستها وفهم سيكولوجية العماني، وأسلوبه في التعامل مع الأشياء، وعلاقته بالآخرين. وقد تمعدت قصدا تجاوز ما ورد في تراثنا العربي والإسلامي بهذا الشأن؛ ليقيني بأن صورة المشهد لا تكتمل إلا بتلك الشهادات، ولضرورة أفراد مساحة أخرى للحديث حول ذلك المحور.

## ٤. الانفتاح والتواصل والعيش المشترك؛

العمانيون انفتحوا كذلك على الآخر -عبر التاريخ-، من خلال المشاركة بالدعوة السلمية للدين الحنيف، والانخراط في الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا، وعبر التجارة، وعن طريق الرحلات البحرية، التي أسهمت في تعرفهم على ثقافات أمم وشعوب مختلفة، كما نقلوا إلى الآخر المختلف عنهم في دائرة الانتماء تجربتهم الفريدة من نوعها، وسلوكهم الأصيل، وقيمهم النبيلة، ولقد أثارت أخلاقهم الراقية، وحسن تعاملهم إعجاب المتعاملين معهم؛ في كل من الهند والصين، وغيرها من البلدان التي وصلوا إليها، وتسابق الأفارقة إلى الإقبال على الدين الإسلامي وتعلم اللغة العربية [الرحلات البحرية العمانية ودورها في تنمية العلاقات الإنسانية مجلة: «الثقافية»، العدد: ٢٦، ص ١٢ وما بعدها]، وكان لامتراج العرق العماني بالمرق الأفريقي أثره البالغ في تعزيز العلاقات (العمانية - الأفريقية)، وزيادة اللحمة وروابط الأخوة الراسخة، التي بقيت شاهدا على تلك الصلة القوية والتقدمة التي ربطت بين العرقين. كما لم يكتف العمانيون بالتطبيق الأخلاقي في الميدان العملي فحسب، بل كان لهم جهودهم الملموسة في صياغة فكر خلقي راق؛ في الجانب النظري؛ كشف عن بعض وجوهه دراسة قيمة قدمها الباحث سلطان الشيباني، نشرت ضمن أعمال: (ندوة الأخلاق الإنسانية الرفيعة)، المنعقدة في رحاب جامع السلطان قابوس الأكبر، سنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠١١ م. وتأكيدا لذلك كله فقد عرفت عمان في الداخل العيش السلمي المشترك، والتفاعل الإيجابي والانسجام المذهبي بين أبناء البلد الواحد. والدولة اليوم تشدد على هذا الأمر غاية التشديد، وتعد المساس به أو الإخلال بالوحدة الوطنية، واللحمة المذهبية خطا أحمر، لا يمكن تجاوزه؛ محذرة من العبث بهذا الملف الخطير والحساس، ومؤكدة في الوقت نفسه أحقية الانتماء إلى أي مذهب مشروع لأي مواطن في الداخل والخارج -غير منازع في ذلك-، وحاثة ومحرضة الجميع على ضرورة التعاون والتفاعل البناء؛ للتقريب بين وجهات النظر المختلفة؛ لما فيه الخير، والاستعلاء -بالتالي- على الهواجس، وتجاوز الاختلاف المذموم، والحذر من الدعوات المذهبية والمناطقية المغرضة والبعيضة؛ لتحقيق الصالح العام والخاص.

# كفاكم نفاقا اجتماعيا



## مدريين المكتومية

madreen@alroya.info

”

حين يعيش الفرد فينا تحت تأثير النفاق الاجتماعي

“

حين تكون مضطراً للقيام بما لا تريد فهذا يعني أنك تعيش وفق رغبات الآخرين وما يتطلبه منك المجتمع ومن هم حولك، حتى وإن كان ذلك عكس ما ترغب وتتمنى، خاصة وإننا نعيش في زمن يتعامل أغلب الأشخاص فيه عكس رغباتهم أي أقرب ما يمكن أن نطلق عليه «نفاق اجتماعي» وهو تلك الممارسات التي يمكن أن يقوم بها الشخص على مختلف المستويات الحياتية بحثاً عن رضا أحدهم، أو تقرباً منه، ولربما لأجل أن يكون حسن السيرة دائماً في كل مواقفه حتى وإن كان ذلك بعيداً عما يختلج في ذاته أو ما يمارسه من طقوس خارج إطار القبيلة والقرية والبلد ككل، وحينها لا يمكننا سوى أن نطلق عليه «مراء».

حين يعيش الفرد فينا تحت تأثير النفاق الاجتماعي يبدأ بفش نفسه وزعزعة مبادئه وخياراته لأجل أن يكسب نفسه شيئاً من الثقة تجاه ما يقوم به حتى وإن كان ذلك سبباً من أسباب إصابته بأمراض نفسية وربما قد يقوده الحال لحالة انفصام في الشخصية، لذلك بدأت تظهر العديد من الظواهر التي قد لا يرحب بها المجتمع ولكن الكثير ممن يرفضونها هم أكثر الأشخاص التصاقاً وتشجيعاً لأصحابها بالاستمرار فيها، فحين نجد المدافع عن حجاب المرأة أو الرفض لعملها بين الرجال أو منع ابنتها للخارج هو نفسه الشخص الذي يعيش أكثر من علاقة عاطفية ولديه أكثر من فتاة يضلل به الآخرين، هنا لا يمكن القول سوى أن حالة انفصام أخلاقي تعطيه الهدوء النفسي حين يفعل الشيء وضده.

ولأسف هذه الحالة لم تتوقف على العاديين من الناس بل طالت بعضاً قليلاً ممن يطلق عليهم رجال الدين فوجدنا منهم من يمارس طقوس التعبد والعبادة نهاراً لكنه ليلاً مشتمت بين القمار والكحول، وقد نجد فتاة تمارس حياتها تحت الأضواء برغبات الآخرين فترتدي ما يحلو للآخرين وتعمل كل ما من شأنه أن يجعلها في العيون «ملتزمة» في حين تكون على العكس حين تسافر، فتعيش حريتها وأكثر، وتبحث عنم يلقى في أذننها كلاماً معسولاً، وهناك من ينادي بالحرية والمساواة لكنه ييصق في وجه عامل النظافة ليمارس عنصريته الخفية، وجميع هؤلاء لا ألقى اللوم عليهم؛ لأنني أدرك تماماً أن المجتمع - ليس بأكمله ولكن بعضه - ما ضغط على هؤلاء وجعلهم يمارسون حياة ليست حياتهم وليست خياراً بل هي اضطرارا أمام الآخرين.

كنت أتساءل في نفسي كثيراً لماذا هناك أناس يعيشون حياتهم كما يريدون رغم كل الانتقادات التي يجردونها وكل العيون التي ترقبهم؟ وبالصدفة اكتشفت أن هؤلاء هم أسعد المخلوقات على الأرض فهم على الأرجح لم يفضلوا خذلان ذواتهم قبل خذلان الآخرين، بل على العكس انتقوا من أذهانهم ما يريحهم ولا يؤدي الآخرين، وتركوا الآخر يعيش ويفكر ويحلل كما يريد، ففي النهاية الحياة تعاش مرة واحدة ولا يمكن التضرير فيها من أجل الآخرين، هؤلاء أدركوا مبكراً أن الحياة التي يترونها بين يدي الناس هي مجرد بنيان من الرمل سيتلاشى عند أول موجة، وبالتالي سيكفون معرضين لخسارة أنفسهم أمام أنفسهم قبل كل شيء.

هذه الفئة التي اكتشفت مبكراً أن العالم المخيف والذي يعيش بعدد كبير من الأتعة ليس مسؤولاً عن وجدهم على هذه الأرض، وليس مسؤولاً عن الخير أو الشر الذي يعيشونه، وليس مسؤولاً أيضاً عن التخطيط لمستقبلهم، لذلك هم سعداء دائماً، يعيشون وفق أفكار استشراعية لحياة مليئة بالنقاء بعيداً عن الآخرين، هؤلاء لديهم من الحب ما يغدقونه على قرية بأكملها لأنهم اكتشفوا وعاشوا مراحل الجمال والحب والعطاء بكل تفاصيلها، ولم يكن لديهم الوقت لتلويث حياتهم بما يسمى «نفاق اجتماعي» على حساب رغباتهم بل على العكس ابتموا في وجه المتسائل والمتناول والمتشائم والمرائي ليثبتوا له بأن خسارته فادحة وأنه يعيش الوهم الذي يجعله لا يشعر بنعيم الحياة وفرصة العيش بعيداً عن خيارات غيره، وكم منا نجح في إثبات نفسه رغم كل الخلاف والاختلاف ورغم كل ما قد يسببه الآخر له ورغم كل الضغوط التي قد تجعله شخصاً مستسحاً يمضي وراء ما يردده الآخر ويعيش بنفس الأتعة التي يعيشون بها والتي لا تروق عليهم بقدر ما تروق لغيرهم.

ففي كل فجر يعطيك القدر فرصة لتستشق نسماته ستشعر بنقاؤه لأنه لم يتلوث بعد بأنفاس المنافقين.